قادة الفتح الإسلامي :

أبو عبيدة بن الجراح الفِهْري

فاتح أرض الشام[1]

« هذا أمين هذه الأمة »

محمد رسول الله

— ١ —

مع النبي :

أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفِهري[2] قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[3] ، فكان أحد العشرة السابقين إلى الإسلام[4].

---

(١) أرض الشام : حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الشرق البادية من أيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (الجمهورية التركية حالياً) ، ومن الجنوب حد مصر وتيه اسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رَفَح . راجع التفاصيل في المسالك والممالك ـ للاصطخري ص (٤٣) ، ومعجم البلدان (٢١٩/٥) . وهي سورية ولبنـــان وفلسطين والأردن في الوقت الحاضر .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهر . وأمه أميمة بنت غنم . راجع طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) ، والإصابة (١١/٤) ، وأسد الغابة (٨٤/٣) ، والاستيعاب (٧٩٢/٣) . وقد غلبت عليه كنيته . يلتقي نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (فهر) . راجع جوامع السيرة لابن حزم ص (٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) ، و (٣٨٤/٧) .

(٤) الإصابة (١١/٤) ، وانظر تسلسل الذين أسلموا في سيرة ابن هشام (٢٦٤/١ ـ ٢٦٩) ، وفي جوامع السيرة لابن حزم ص (٤٥ ـ ٤٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهاجر أبو عبيدة إلى الحبشة الهجرة الثانية [١] تخلصاً من التعذيب والبلاء [٢]؛ ولكنه عاد إلى مكة بعد أن اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المسلمين : ان قريشاً قد أسلمت ؛ وكان هذا الخبر كذباً [٣] .

ولما أذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، هاجر أبو عبيدة مع من هاجر من المسلمين إليها ، فآخى النبي ﷺ بينه وبين أحد أصحابه [٤] ؛ وهناك بدأ صفحة جديدة من كفاحه لاعلاء كلمة الله .

فقد شهد (بدراً) وقتل أباه الذي كان مشركاً في هذه المعركة [٥] ، إذ جعل والده يتصدى له وابو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصده وقتله [٦] ، فنزل فيه قول الله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد [٧] الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٤١٠) ، وسيرة ابن هشام (١/٣٥٢) ، وجوامع السيرة ص (٦٣) ، والإصابة (٤/١١) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/٣٤٣) ، وجوامع السيرة ص (٥٥) .

(٣) سيرة ابن هشام (١/٣٩١) ، وجوامع السيرة ص (٦٦) .

(٤) في سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين سعد ابن معاذ وكذلك في جوامع السيرة ص (٩٦) . أما في طبقات ابن سعد (٣/٤١٠) ففيه : أنه آخى بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة ، وفي رواية بينه وبين محمد بن مسلمة .

(٥) الإصابة (٤/١١) والسيرة الحلبية (٢/١٧٨) .

(٦) الإصابة (٤/١١) .

(٧) حاد الله : حارب الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون)[١] .

وشهد (أحداً) وثبت مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس وولوا . قال أبو بكر الصديق : « لما كانت يوم أحد ورمي رسول الله ﷺ في وجهه حتى دخلت في أجنتيه حلقتان من المغفر[٢] ، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ ، وإنسان قد أقبل من قِبَل المشرق يطير طيراناً ، فقلت : اللهم اجعله طاعة ، حتى توافينا إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بَدَرَني ، فقال : أسألك بالله يا أبا بكر ألا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ . قال أبو بكر : فتركته ، فأخذ أبو عبيدة بثنيةِ إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى ، فسقطت ، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم[٣] » .

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً من المسلمين ، فأغار على المشركين في (ذي القَصّة)[٤] فأعجزوهم هرباً في الجبالي وأسروا رجلا واحداً فأسلم[٥] .

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشري (١٧٢/٣) وتفسير ابن كثير (٢٧٣/٨) وفيه : انزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . والآية الكريمة من سورة المجادلة (٥٨ : ٢٢) .

(٢) المغفر : زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب .

(٣) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) . والثرم بالتحريك : سقوط الثنية وهي واحدة الأسنان الأربع . وانظر جوامع السيرة ص (١٦١) وسيرة ابن هشام (٢٨/٣) .

(٤) ذو القصة : موضع بين زُبالة والثُعلُوق دون الثعلوق بميلين فيه قُلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا الموضع كانت غزاة أبي عبيدة بن الجراح أرسله اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) .

(٥) طبقات ابن سعد (٨٦/٢) و (٤١١/٣) وجوامع السيرة ص (١٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعثه رسول الله ﷺ في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر مدداً لعمرو ابن العاص في غزوة ذات السلاسل ، وقال له : « لا تختلفا ! » ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم على عمرو قال له عمرو : « إنما جئت مدداً لي » . قال أبو عبيدة : « لا ، ولكني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه » . فقال عمرو : « بل أنت مدد لي » . فقال أبو عبيدة : « يا عمرو ! إن رسول الله ﷺ قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعتك [١] .

وبعثه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى حيّ ابن جهينة بـ (القَبَلِيَّة)[٢] مما يلي ساحل البحر ، فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى أكلوا الخبط [٣] ، فابتاع لهم قيس بن سعد جُزُراً ونحرها لهم ، وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه ، ثم انصرفوا دون أن يلقوا كيدا [٤] .

وشهد فتح مكة ، وكان على مقدمة موكب رسول الله ﷺ المؤلف من المهاجرين [٥] ، كما شهد كافة المشاهد مع رسول الله ﷺ [٦] .

لقد كان أبو عبيدة موضع ثقة رسول الله ﷺ وحبّه ، فقد سأل أهل اليمن رسول الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنّة والإسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح ، وقال : « هذا أمين هذه الأمة »[٧] .

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٣) وطبقات ابن سعد (١٣١/٢) والإصابة (١٢/٤) .
(٢) القبلية : سَرَاة فيما بين المدينة وينبع ، ما سال منها إلا ينبع سمي بالغور ، وما سال منها الى أودية المدينة سمي بالقبليه . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٧) ، وهو مما يلي ساحل البحر بينها وبين المدينة خمس ليـــال . انظر طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) .
(٣) الخبط : ورق الشجر .
(٤) طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) وسيرة ابن هشام (٣٠٩/٣) وفتح الباري بشرح البخاري (٨ ٦٢) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢٦/٤) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .
(٦) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) .
(٧) الإصابة (١١/٤) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال وفد (نَجْران)[١] للنبي : « ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضا » . فقال لهم رسول الله ﷺ : « ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين » ، فكان عمر بن الخطاب يقول : (ما أحببت الأمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر سلّم ثم نظر يمينه ويساره ، فجعلت أتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه ، فقال : أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه) . قال عمر : (فذهب بها أبو عبيدة[٢]!) ؛ وفي رواية أن النبي ﷺ قال لأهل نجران : (لأبعثن حقّ أمين) فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة[٣] . وفي رواية أنه قال لهم : (سأبعث معكم رجلاً أميناً حق أمين) فتشرّق له الناس ، فبعث أبا عبيدة[٤] .

وكان الرسول ﷺ يقول عن أبي عبيدة : (إنّ لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيده بن الجراح)[٥] . وقال عنه : (لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[٦]) .

لقد كان أبو عبيدة من أنجب تلامذة مدرسة الرسول القائد .

---

(١) نجران : من مخاليف اليمن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٨/٨) .
(٢) سيرة ابن هشام (٢١٥/٢ـ٢١٦) .
(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧٤/٧) .
(٤) سنن الإمام ابن ماجة (٣٢/١) وفتح الباري بشرح البخاري (٧٤/٨) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .
(٥) فتح الباري بشرح البخاري (٧٣/٧) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .
(٦) فتح الباري بشرح البخاري (٧٤/٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جهاده :

١ — إلى الشام

استعمل أبو بكر الصديق أبا عبيدة على جيش من جيوش المسلمين وأمرهم (بحمص)[١] ، وكان نص أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام : (إذا اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة)[٢] ، فسلك أبو عبيدة طريق (المعرقة)[٣] حتى نزل (الجابية)[٤] ، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة رجل[٥] .

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام ، حتى بعث (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين[٦] ، ليشغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض ، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم ، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بأذائها من الروم ؛ ولكن قادة المسلمين فوتوا على الروم هذه الفرصة باجتماعهم في (اليرموك)[٧] ، استعداداً لمواجهة الروم جيشاً واحداً بقيادة قائد واحد .

---

(١) ابن الأثير (٢/١٥٥) .

(٢) البلاذري ص (١١٦) وفتوح الشام للواقدي (١/٨) .

(٣) المعرقة : طريق تأخذ على ساحل البحر ، وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها إذا أرادت الشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٥) .

(٤) الجابية : قرية من أعمال دمشق . راجع معجم البلدان (٣/٣٣) .

(٥) البلاذري (١١٦) .

(٦) الطبري (٢/٥٩٠) وابن الأثير (٢/١٥٥) .

(٧) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٠٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ — في اليرموك

استمدّ أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك ابا بكر ، فقال أبو بكر : (خالد لها !) فبعث اليه وهو بالعراق ، وعزم عليه واستحثّه في السير [١] .

وطلع خالد على المسلمين ، ففرحوا به فرحاً شديداً ، فكان خالد قائداً عاماً في معركة اليرموك الحاسمة [٢] ، وكان أبو عبيدة على القلب [٣] ، فهاجم خالد الروم (بالقلب) حتى كان بين مشاتهم وفرسانهم وكان هجوم القلب صاعقاً ، فلما وجدت خيل الروم منفذاً لها للهرب ، تركت ساحة المعركة هاربة [٤] ؛ وبذلك قضى المسلمون على مشاة الروم ، فانتهت معركة اليرموك الحاسمة بانتصار المسلمين .

٣ — بعد اليرموك

تولى أبو عبيدة بعد اليرموك منصب القيادة العامة في أرض الشام [٥] ، فاستخلف على اليرموك بشير بن كعب الحميرى [٦] ، وسار حتى نزل (بالصفّر) [٧] ، وهناك أتاه الخبر بأنّ المنهزمين من الروم اجتمعوا (بفحل) [٨] ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل (دمشق) من (حمص) ، فكتب إلى عمر في ذلك ؛ فأجابه :

---

(١) الطبري (٢/٥٩١) .
(٢) فتوح الشام للواقدي (١/١٤) والبلاذري ص (١١٧) والأغاني (١٤/٢٦) .
(٣) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الأثير (٢/١٥٨) .
(٤) الطبري (٢/٥٩٦) وابن الأثير (٢/١٥٨) .
(٥) ابن الأثير (٢/١٥٨) وطبقات ابن سعد (٣/٣٩٧) واليعقوبي (٢/١١٧) .
(٦) بشير بن كعب الحميري : أحد الأمراء في اليرموك ، خلّفه أبو عبيدة على اليرموك في خيل . وهو صحابي جليل . راجع الاصابة (١/١٦٤) و (١/١٨٠) .
(٧) الصفّر : هو مرج الصفر ، موضع بين دمشق والجولان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٧) .
(٨) فحل : اسم موضع بالشام في ناحية الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٤٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بأن يبدأ بدمشق لأنها حصن الشام وعاصمتها ، وأن يشغل أهل (فحل) بخيل تكون بازائهم ، وإذا فتح دمشق سار إلى (فحل) (١) .

٤ — في دمشق

سار أبو عبيدة بالناس من المرج وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه ، وعلى الخيل عياض بن غنم وعلى الرجل شرحبيل ابن حسنة ، فقدموا على دمشق وحصروا أهلها وطرّقوها ، وكان أبو عبيدة على ناحية (٢) وخالد على ناحية الباب الشرقي (٣) ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون وصول الامدادات ، فلما أيقن أهل دمشق أنّ الامدادات لا تصل اليهم فشلوا ووهنوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم .

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق ، فاعتلى هو وأصحابه السور وفتحوا الباب ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة

---

(١) نص وصايا حركات عمر كما وردت في الطبري (٦٢٥/٢) ، أما بعد : فابدأوا بدمشق فانهدّوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، وأشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بأزائهم في نحورهم ، وأهل فلسطين ، وأهل حمص ، فان فتحها الله قبل دمشق ، فذاك الذي نحبّ ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فليتزل بدمشق من يمسك بها ، ودعوها . وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل وعمراً وأجلهما بالاردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته . وانظر أيضاً ابن الأثير (١٦٤/٢) .

(٢) الطبري (٦٢٦/٢) .

(٣) البلاذري (١٢٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ، فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحاً (١) .

٥ — بعد دمشق

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق إلى (فِحْل) بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، فشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها فتح الاردن على يد شرحبيل بن حسنة (٢) . وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة (فحل) ، كان يزيد بن أبي سفيان يخوض معارك فتح ساحل دمشق : صيدا وصرفند وبيروت (٣) .

٦ — إكمال فتح سورية

إنصرف أبو عبيدة بخالد بن الوليد ومن معه إلى (حمص) ، وفي طريقه اليها اصطدم بقوات الروم في (مرج الروم) ، وأرسل خالد ليضرب من الخلف قوات الروم التي قصدت دمشق ، فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار على الروم (٤) .

---

(١) الطبري (٢/٦٢٤ـ٦٢٧) وابن الأثير (٢/١٦٤ـ١٦٥) . أما البلاذري في ص (١٢٩) فيذكر : أن اسقف دمشق لما رأى أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي ، فدخل معه ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير ، فكيف يجوز صلحه ؟ فقال أبو عبيدة : « إنه يجير على المسلمين أدناهم » ، وأجار صلحه وأمضاه ... انتهى .
وأكثر الروايات على ما ذكرناه في المتن ، لذلك رجحناه ـ خاصة وانه أقرب لطبيعة القائدين : طبيعة أخلاق خالد المحاربة وطبيعة أخلاق أبي عبيدة المسالمة ، لذلك نرجح دخول خالد دمشق من الباب الشرقي قسراً ودخول أبي عبيدة من باب الجابية سلماً .
(٢) الطبري (٢/٦٢٨ـ٦٣٠) وابن الأثير (٢/١٦٥ـ١٦٦) والبلاذري ص (١٢٢).
(٣) ابن الأثير (٢/١٦٥) والبلاذري ص (١٢٣) .
(٤) الطبري (٣/٩٦) وابن الأثير (٢/١٩٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستمرّ أبو عبيدة في سيره باتجاه هدفه (حمص) ، فسلك طريق (بَعْلَبَك)[١] فطلب أهلها الأمان ، فأمنهم وصالحهم ؛ وسار عنهم ، فنزل على (حمص) ومعه خالد ، ففتحها بعد حصار طويل على مثل صلح دمشق[٢] . ثم مضى إلى (حَماة)[٣] ، فتلقاه أهلها مذعنين ، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم . ومضى نحو (شَيْزَر)[٤] فخرجوا اليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة ، فسار أبو عبيدة إلى (معرة حمص)[٥] وهي (معرة النعمان) ، فأذعنوا بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص .

وسار أبو عبيدة إلى (اللاذقيه)[٦] وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحها إلا بجماعة كبيرة من الناس ، فعسكر المسلمون على بعد منها ، ثم أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكباً ، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون

---

(١) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٢٦) والمسالك والممالك ص (٤٦) . « لجنة المجلة : عُرّفت بعلبك وغيرها من المدن والقرى على حسب ما ورد فيها في الكتب القديمة » .

(٢) الطبري (٣/٩٧) وابن الأثير (٢/١٩٠) والبلاذري ص (١٣٦) .

(٣) حماة : مدينة كبيرة عظيمة ، يحيط بها سور ، تقع على نهر العاصي . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣٥) .

(٤) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم واحد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٢٤) .

(٥) معرة حمص : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . أطلق عليها اسم معرة النعمان على اسم الصحابي الجليل النعمان بن بشير الذي مات بها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٦) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعد من أعمال حمص . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها ورحلوا ، فلما أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر . وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون أنّ المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد ، فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ، ففتحوها عنوة [١] .

وأرسل أبو عبيدة خالداً إلى (قِنَّسْرِين) [٢] ؛ وفي (الحاضر) [٣] اصطدم خالد بقوات الروم ، فاقتتلوا قتالاً لم يقتتلوا مثله من قبل ، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين على الروم ، فسار خالد حتى نزل على (قنسرين) ، فتحصّن أهلها منه ، ولكنهم صالحوه على مثل صلح حمص ، فأبى إلا على خراب المدينة [٤] .

ولما فرغ أبو عبيدة من (قنسرين) سار إلى (حَلَب) [٥] فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا ، فوجه اليهم السمط الكندي [٦] ، فأعاد فتحها .

ووصل أبو عبيدة (حاضر حلب) [٧] ، فصالح أصنافاً من العرب على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك . وأتى حلب فتحصّن أهلها ، ولكنهم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم ، فأعطوا ذلك [٨] .

---

(١) ابن الأثير (٢/١٩٠) والبلاذري ص (١٣٧) ، وفي البلاذري ص (١٣٨) : أن الذي فتح اللاذقية هو عبادة من الصامت .

(٢) قنسرين : بلد في أرض الشام جنوبي حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٦٨) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٣) الحاضر : خلاف البادي ، وهو بقرب حلب قنسرين وهو حاضر قنسرين .

(٤) الطبري (٣/٩٨) وابن الأثير (٢/١٩١) والبلاذري ص (١٥٠) .

(٥) حلب : مدينة عظيمة واسعة ، وهي قصبة قنسرين ، مسوّرة بحجر أبيض . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣١١) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦) هو السمط بن عمرو الكندي . وستأتي ترجمته مع قادة الفتح الإسلامي .

(٧) حاضر حلب : الحاضر خلاف البادي ، وهو بقرب حلب . راجع التفاصيل معجم البلدان (٣/١٩٩) .

(٨) ابن الأثير (٢/١٩١) والبلاذري (١٥١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسار أبو عبيدة من حلب إلى (إنطاكية)[١] وقد تحصن بها خلق كثير من قنسرين وغيرها ، فحاصرها من جميع نواحيها ، فصالحوه على الجلاء أو الجزية ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فأمنهم[٢] .

وبلغ أبا عبيدة أن جمعاً من الروم بين (معرة مَصْرِين)[٣] وحلب ، فقصدهم وقاتلهم وفتح (معرة مصرين) على مثل صلح حلب . ورحلت خيوله ، فبلغت (يوقا)[٤] وفتحت قرى (الجومة)[٥] و (سَرْمِين)[٦] و (مَرْتَحْوان)[٧] و (تِيزِين)[٨] وغلبوا على جميع أرض قنسرين وانطاكية[٩] .

وسار أبو عبيدة يريد (قُورُس)[١٠] ، فصالحها على صلح إنطاكية . وبث خيوله

---

(١) إنطاكية : مدينة تعتبر قصبة العواصم من الثغور الشامية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٣/١) .

(٢) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٢) .

(٣) معرة مصرين : بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها ، بينهما نحو خمسة فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨) .

(٤) يوقا : بلدة قريبة من حلب ومن أعمالها .

(٥) الجومة : من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (١٧٦/٣) .

(٦) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . راجع معجم معجم البلدان (٧٥/٥) .

(٧) مرتحوان ، من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (١٤/٨) .

(٨) تيزين : قرية كبيرة من نواحي حلب ، كانت تعد من أعمال قنسرين . راجع معجم البلدان (٤٤١/٢) .

(٩) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٤) .

(١٠) قورس : مدينة أزلية بها آثار قديمة . وهي كورة من نواحي حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٨١/٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فغلب على جميع أرض قورُس ، وفتح (تل عَزَاز)[١] ، ثم فتح (منبج)[٢] و (دُلُوك)[٣] و (رَعْبَان)[٤] صلحاً ، واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم ، ووجه أبو عبيدة خالداً وهو (بمنبج) إلى (مَرْعش)[٥] ففتحها وأجلى أهلها وأخربها ، كما أنه فتح حصن (الحَدَث)[٦] ، وبذلك استولى أبو عبيدة على أرض الشام من هذه الناحية إلى الفرات ، فولى على كل كورة فتحها عاملاً ، وضم اليه جماعة من الإداريين يعاونونه في إدارة منطقته وجيشاً يدافع عنها ؛ ثم عاد إلى فلسطين[٧] .

وبينما كان أبو عبيدة يعمل جاهداً لإكمال فتح سورية ، كان عمرو بن العاص يعمل جاهداً لفتح فلسطين ، فجاءه أبو عبيدة ، وحاصروا (ايلِيَاء)[٨] وهي

---

(١) تل عزاز : بليدة فيها قلعة تقع شمالي حلب ، بينهما يوم واحد . راجع معجم البلدان (١٦٨/٦) .

(٢) منبج : بلدة قديمة كبيرة واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . راجع معجم البلدان (١٦٩/٨) .

(٣) دلوك : بليدة من نواحي حلب بالعواصم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦٨/٤) .

(٤) رعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسُمَيْسَاط قرب الفرات ، معدودة من العواصم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦١/٤) .

(٥) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي وسطها حصن عليه سور . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٨) .

(٦) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسُمَيْسَاط ومرعش ، من الثغور ، يقال لها : الحمراء ، وقلعتها على جبل يقال له : الأحيدب . راجع معجم البلدان (٢٣١/٣) وعن فتح مرعش والحدث تاريخ أبي الفداء (١٦٠/١) .

(٧) ابن الأثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٥) .

(٨) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس . ومعناها : بيت الله . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٩٢/١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بيت المقدس ، فطلب أهلها أن يصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب اليه بذلك ، فقدم عمر وفتح مدينة القدس (١) .

٧ — الدفاع عن حمص

عاد أبو عبيدة الى (حمص) بعد فتح القدس ، فقصده الروم ، وكان المهيج لهم أهل (الجزيرة)(٢) ، فقد راسلوا ملك الروم وحثوه على إرسال الجيوش لاسترداد الشام ، وتطوعوا من أجل ذلك لمعاونته .

وسمع أبو عبيدة باجتماع الروم وحلفائهم ، فضمّ اليه مسالح المسلمين وعسكر في داخل مدينة حمص . وأقبل خالد من قنسرين اليهم ، فاستشاره أبو عبيدة في مهاجمة الروم أو التحصين إلى مجيء الامدادات ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار غيره بالتحصين ، فأطاع أبو عبيدة الأكثرية ، وكتب بذلك إلى عمر .

وكان عمر قد أعدّ في كل مصر من أمصار المسلمين الكبيرة ومنها الكوفة قوة احتياطية سريعة من الفرسان ، فكان بالكوفة وحدها أربعة آلاف فرس ، وكان واجب هذه القوات الاحتياطية السريعة ، إسناد مواقع المسلمين التي يتهددها الخطر اسناداً فورياً حتى يتجهّز الناس ، فلما سمع عمر الخبر ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ، فان أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدّم اليهم

---

(١) ابن الأثير (٢/١٩٣) والبلاذري ص (١٤٥) .

(٢) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات مجاورة أرض الشام ، تشمل على ديار مضر وديار بكر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الجد والحث » ، وكتب إليه أيضاً ، أن يسرّح سهيل بن عدي إلى (الرقة)[١] لأن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وأمره أن يُسرّح عبدالله بن عبد الله بن عتبان إلى (نصيبين)[٢] ، ثم ليقصد (حران)[٣] و (الرُها)[٤] ، وأن يُسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يُسرّح عياض بن غَنْم ، فان كان قتال ، فأمرهم إلى عياض .

ومضى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس إلى حمص[٥] ، وخرج عياض وأمراء الجزيرة وأخذوا طريق الجزيرة ، وتوجّه كل أمير إلى المنطقة التي أُمّر عليها ، وخرج عمر فأتى (الجابيه) يريد حمص مغيثاً لأبي عبيدة .

وبلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن جنود المسلمين قد تحركوا من الكوفة دون أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لها : أي هل تتجه صوب الجزيرة أم تتجه إلى حمص ، كذلك تفرقوا إلى بلدانهم لحمايتها والدفاع عنها من

---

(١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٢/٤) والمسالك والممالك ص (٥٣) ،

(٢) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٢/٨) والمسالك والممالك ص (٥٢) .

(٣) حران : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٣) والمسالك والممالك ص (٥٤) .

(٤) الرها : مدينة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/٤) والمسالك والممالك ص (٥٤) .

(٥) حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد إلى هدف بعيد ليس سهلاً . إنه يكاد يكون مستحيلاً في أيامنا الحاضرة ، فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ؟!

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخطر المباشر الذي داهمها ؛ وبقي الروم وحدهم حول حمص ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القعقاع حمص بثلاثة أيام ؛ فكتب عمر إلى أبي عبيدة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء قائلاً : « جزى الله أهل الكوفة خيراً : يكفون حوزتهم ويمدّون أهل الأمصار »[1].

وبذلك استطاع أبو عبيدة ترصين ما فتحه من أرض الشام ، وإكمال فتح أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن .

الزعيم الركن

محمود شيت خطاب

(يتبع)

---

(١) الطبري (٣/١٥٠) وابن الأثير (٢/٢٠٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net